ان ارصد كسوف الشمس ايضاً فوجدت بعد المراقبة ان الكسوف للقمر لا للشمس وقد كان تاماً في بلاد الشام ووقع الظل على بلاد الاموريين وبلاد الحثيين وجانب من بلاد الكلدانيين "

ويظهر من ذلك انهُ كان عند البابليين مراصد كثيرة لرصد الافلاك وانهم كانوا يعرفون من علم الطب وعلم الفلك اكثر مما يعرف خلفاؤهم الآن وقس على ذلك سائر العلوم. فاين ضاع ذلك العمران وماذا حلَّ بهِ ولماذا لا ترجع البلاد الى عهدها الاول اذا لقيت من العناية ما لقيت منذ اربعة الاف عام حين كانت وسائط العمران على اقلها في الدنيا كلها

التدوين في الاسلام

لا يعلم على التحقيق اذا كان العرب قبل الاسلام دوّنوا شيئاً من آدابهم واخبارهم لغلبة الامية على سكان وسط الجزيرة اما في الاسلام فبدأ تدوين القرآن ثم تبعهُ تدوين الآثار وغيرها . اخرج البخاريُّ عن زيد بن ثابت قال ارسل اليَّ ابو بكر مقتل اهل اليمامة وعندهُ عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بالناس واني لاخشى ان يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الاَّ ان يجمعوهُ واني لارى ان يجمع القرآن. قال ابو بكر فقلت لعمر كيف افعل شيئاً لم يفعلهُ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيهِ حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم . فقال ابو بكر انك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن فاجمعهُ. فوالله لو كلفني نقل جبل ما كان اثقل عليَّ مما كلفني بهِ من جمع القرآن. فقلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعلهُ النبي (ص) فقال ابو بكر هو والله خير . فلم ازل اراجعهُ حتى شرح الله صدري للذي شرح الله صدر ابي بكر وعمر فتتبعت القرآن اجمعهُ من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم اجدها مع غيره " لقد جاءكم رسول من انفسكم " الى آخرها فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها اهـ

هكذا دُوّن اول كتاب واشرفهُ في الاسلام اما العلوم الاخرى فقد ذكر احد الثقات ان اول من ألَّف في المغازي موسى بن عقبة بن صغار التابعين وقال بعضهم ان التدوين لم يحدث الاَّ سنة سبعين للهجرة ويقال ان الصحابة دونوا شيئاً من الحديث . وفي صحيح

البخاري ان عمر بن عبد العزيز كتب الى ابي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) فاكتبهُ فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا يقبل الاَّ حديث النبي (ص) وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلَّم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا . ولا عجب اذا كان هذا مبلغ عناية القوم في الصدر الاول بامر التدوين فقد ورد الاثر قيدوا العلم بالكتابة وفي رواية بالكتاب

قال حسن صديق خان في ابجد العلوم واعلم انهُ اختُلف في اول من صنف فقيل الامام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصري المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وقيل ابو النصر سعيد بن ابي عروبة المتوفى سنة ست وخمسين ومائة ذكرهما الخطيب البغدادي وقيل ربيع بن صبيح المتوفى سنة ستين ومائة قالهُ ابو محمد الرامهرمزي ثم صنف سفيان بن عيينة ومالك بن انس بالمدينة المنوّرة وعبد الله بن وهب بمصر ومعمرٌ وعبد الرزاق باليمن وسفيان الثوري ومحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة وحماد بن سلمة وروح بن عبادة بالبصرة وهشيم بواسط وعبد الله بن مبارك بخراسان

وقال بعض المؤرخين ان اول كتاب أُلف في الاسلام كان في القرن الثاني وهو كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير ثم تبعهُ كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن في السنين النبوية الماثورة ثم كتاب الموطأ . وقد انكر الامام احمد بن حنبل على مؤلفهِ الامام مالك في انهُ اتى ما لم يأتهِ الصحابة . وقال غيرهُ ان قد دوّن مالك ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي ذئب بالمدينة وابن جريج وابن عيينة بمكة والتوزي بالكوفة وربيع بن الصبيح بالبصرة

حكى السيوطي ان المنصور لما حج قال لمالك قد عزمت ان آمر بكتبك هذه التي صنفتها فتنسخ ثم ابعث في كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وآمرهم بان يعملوا بما فيها ولا يتعدوا الى غيرهِ فقال يا امير المؤمنين لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل وسمعوا احاديث ورووا روايات واخذ كل قوم بما سبق اليهم واتوا بهِ من اختلاف الناس قدع الناس وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم . ويحكى نسبة هذه القصة الى هرون الرشيد وانهُ شاور مالكًا في ان يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيهِ فقال لا تفعل فان اصحاب رسول الله (ص) اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكلٌّ سنّةٌ مضت قال وفقك الله يا ابا عبد الله

هذا ما كان من امر العلم الاسلامي اما العلوم السائرة فقد ذكر ابن عبد ربه ان عبد الله بن يزيد كان ناسكًا وخالد بن يزيد عالمًا لم يكن في بني أُمية ازهد من هذا ولا اعلم من هذا قال ابن خلكان كان خالد من اعلم قريش يفنون العلم ولهُ كلام في صنعة الكيمياء والطب

وكان بصيرًا بهذين العلمين واخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال لهُ مريانس الرومي ولهُ فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهنَّ ما جرى لهُ مع مريانس وصورة تعلمهِ منهُ والرموز التي اشار اليها . وخالد مات سنة خمس وثمانين للهجرة

ويقول ابن خلدون ان اول من دوّن في الكيمياء عند العرب جابر بن حيَّان امام المدونين حتى انهم يخصونها بهِ فيسمونها علم جابر قال وربما يُعزى الكلام فيها الى من ليس من اهلها وربما نسبوا بعض المذاهب والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البيّن ان خالدًا من الجيل العربي والبداوة اليهِ اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف لهُ بصناعة غريبة المنحى مبنيَّة على معرفة طبائع المركبات وامزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهمَّ الَّا ان يكون خالد بن يزيد آخر من اهل المدارك الصناعية تشبه باسمهِ فسمكن . ويؤخذ مما قالهُ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي وكان قدم الشام فاتى عمتهُ امنة بنت سعيد بن العاصي وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية فدخل عليهِ فرآهُ فقال لهُ ما يقدم علينا احد من اهل الحجاز الَّا اختار المقام عندنا على المدينة فظن محمدانهُ يعرّض بهِ فقال وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح (الجمال) فتزوجوا امك وسلبوك ملكك وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجة ما لا تقدر عليهِ يعني الكيمياء وكان يعلمها — يفهم من قولهِ ان خالدًا كان يعاني الكيمياء وهذا يؤيد ما رواهُ ابن خلكان من رسائلهِ فيها

وروى ابو عبيدة وابن خلكان وغيرهما ان كتب عمرو بن العلاء احد القراء السبعة وكان اعلم الناس بالادب والعربية والقرآن والشعر ان كتبهُ التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتًا الى قريب من السقف ثم انهُ تقرَّأ اي تنسك فاخرجها كلها وقيل احرقها فلما رجع الى علمهِ الاول لم يكن عندهُ الَّا ما حفظهُ بقلبهِ . وكانت ولادة عمرو بن العلاء سنة سبعين وقيل ثمان وستين وقيل خمس وستين وتوفي سنة نيف وخمسين ومائة . وكيف يا ترى بدأ التدوين من القوة والكثرة حتى بلغت كتب ابن العلاء مخدعًا كاملاً في منتصف القرن الثاني على ان ذلك لا يستكثر من العرب وقد كانت نشأتهم الاجتماعيَّة على ما عُرف من القوة المدهشة

وقال القرماني ان السفَّاح اول خلفاء بني العباس كان اول خليفة قرّب المنجمين وعمل باحكام النجوم واول خليفة ترجمت لهُ الكتب السريانية والاعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة واقليدس . وقال الذهبي في سنة ثلاث واربعين ومائة شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ومالك الموطأ بالمدينة والاوزاعي بالشام وابن

ابي عمرويه وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة وصنف ابن اسحق المغازي وصنف ابو حنيفة الفقه ثم بعد يسير كثر تدوين العلم وتبويبهُ ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وفي هذا العصر كان الائمة يتكلون من حفظهم ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة

وقال الغزالي اذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضيّ فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيَّب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ . ولذلك كره ابو بكر وجماعة من الصحابة (رض) تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئاً ما فعلهُ رسول الله (ص) وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاهُ بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى اشار عمر (رض) وبقية الصحابة يكتب القرآن خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليهِ في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر (رض) لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيف الموطإ ويقول ابتدع ما لم تفعلهُ الصحابة (رض) وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس (رض) بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيهِ سنناً مأثورة نبوية ثم كتاب الموطإ بالمدينة لمالك بن انس ثم جمع سفيان الثوري ثم في

محمد كرد علي

القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام

(المقتطف) يتضح مما تقدَّم على ما فيهِ من الاختلاف الكثير ان العرب لم يدونوا كتاباً من كتبهم الاَّ في اواخر المئة الاولى او اواسط المئة الثانية . ولا يخفى ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم فتوقفهم عن كتابة اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة امر عجيب في ذاتهِ واعجب منهُ ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعهُ اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبراً سمعناهُ في العام الماضي او نصف حادثة شاهدناها منذ عامين